الشعر الجاهلي بين الشک واليقين

الدكتور عبدالله حسيني*

أستاذ مساعد بجامعة فرهنگيان (پرديس شهيد بهشتى - بندرعباس)

(٢٥١ - ٢٧٤)

تاريخ الاستلام: ٩٠/٠٩/٢٠؛ تاريخ القبول: ٩١/٠٢/٢٦

الملخص

إقترنت ظاهرة الشک في الشعرالجاهلي بقضية الانتحال، و هى ظاهرة أدبية عامة لاتقتصر على أمة دون غيرها من الأمم. و من أهم النقّاد القدامي في هذا الجانب محمد بن سلّام الجمحي، وعبد الملک بن هشام. وكان مرجوليوث أكبر مَن أثار هذه القضية من المستشرقين، وقد بنى رأيه على ضربين من الأدلّة: الأدلّة الخارجية، والأدلّة الداخلية. وأوّل من بحث هذا الموضوع من العرب المعاصرين هو مصطفى صادق الرافعي، ثم تناول البحث الدكتور طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي»، ثم نسخته المعدّلة «في الأدب الجاهلي»، وقال: «انّ الكثرة المطلقة ممّا نسمّيه أدبا جاهليا ليست مِن الجاهلية و إنما هي منتحلة بعد ظهور الاسلام.» فبحث عن الدوافع والأسباب التي تدفع الباحث الى الشکّ في الشعر الجاهلي، و قال:«هذا الأدب لايمثّل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للعرب الجاهليين.» ولاحظ أنّ الشعرالجاهلي لايصوّر اللغتين الشائعتين في الجزيرة:لغة الحميريين الجنوبية، ولغةالعدنانيين الشمالية.أما أسباب الشک على زعمه فهى: أولا: إنّ اللغة لم تكن واحدة في القبائل المختلفة قبل الاسلام. ثانيا: السياسة كانت تجبر الكثيرين على انتحال الشعر. ثالثا: الدين، كان يدفع المسلمين إلى الانتحال ليذكروا به انتظار القوم بعثة محمد(ص). رابعا: اتساع الفن القصصي وسرد الحكايات القديمة. خامسا: تنافس العناصر العربية والفارسية وغيرها من الشعوب. سادسا: منافسة الرواة والعلماء في حفظ الأشعار والحرص على تفسير ما أشكل من الألفاظ. فالأسباب التي يوردها الدكتور نسبيّة ولا يصحّ أن تُعمم. هذا فضلا عن أنّ الكثيرين من أدباء العرب الأقدمين كأبي زيد القرشي وابن سلام وصاحب الأغاني ذكروا بعض طرق الانتحال هذه، وكشفوا الستار عن كثير من منتحلات حمّاد الراوية وخلف الأحمر. فلم يكد يمضي على صدور كتابيه حتى كانت هناک مجموعات مِن المؤلفات تنتقد طه حسين وكتابيه،أوّلا: لأنّ هذا يشمل كل الشعر الجاهلي تقريبا، وقد بالغ الناقد حتى نفى وجود بعض الشعراء لا من جهة شاعريّتهم فحسب،بل من جهة كيانهم أيضا.ثانيا: لأنّ إنكاره هذا، وهو المسلم،خرّيج الأزهر، يُعدّ إنكارا لصحّة نسبة الأبيات التي استشهد بها ابن اسحاق و ابن‌هشام في سيرة نبيّ الإسلام (ص) ويمس في بحثه، عن اسباب الانتحال، صفة النبيّ المذكورة من حيث أنّه كان منتظرا في البلاد العربية من عهد بعيد.

الكلمات الدليلية : الشک، الإنتحال، الشعر الجاهلي، مرجوليوث، طه حسين، الحياة الجاهلية، اللغة العربية.

* E-mail: Dr.hosseinyiran@gmail.com

Archive of SID

www.SID.ir

المقدمة

قضيّة الوضع والنحل من الظواهر العامّة التي عرفها تراث العرب الشعريّ في الحقب التاريخيّة قبل الإسلام وبعده مع تباين في درجة وجودها تبعاً لاختلاف العوامل والظروف التي أدّت إلى ظهورها، وهي ليست ظاهرة في الأدب العربي فحسب، وإنّما وُجدت في آداب الأمم الاُخرى التي لها نتاج أدبيّ. اِنّ مرّد شيوع هذه الظاهرة في الأدب العربي القديم يعود إلى الوضع القبليّ الواضح في نحل الأشعار، والرواة الوضّاعين، والرواية الشفوية، وعدم التدوين، والبعد الزمني الذي قطعه هذا النتاج الضخم من التراث الأدبي، واختلاف الأجيال التي تناقلته بوسائلها المتنوّعة. وقد يتفرّع من ظاهرة النحل والوضع ظاهرة أخرى وهي الخلط والتداخل في الأشعار المتنازعة النسبة إلى قائليها، لمشابهة الموضوع الذي قيلت فيه ومناسبتها، وتشابه الوزن والقافية لقصيدة أو مقطوعة لشاعرين مختلفين، ولتضمين أحد الشعراء شعر غيره، إلى غير ذلک من هذه الأمور. وهذا لايخلّ في صحّة الأشعار وإصالتها، و هى أشعار سليمة صُدرت من أفواه قائليها من الشعراء.

و بعد هذا كلّه، يتبادر إلى الذهن سؤالٌ شغل النقّاد والعلماء وهو ما مدى صحّة الشعر الجاهلي؟ إنّه لَسؤال يصعب الجواب عليه بدقّة وجزم، وإنه لَمن العبث اَن نشکّ في صحة الشعر الجاهلي جملة لمجرد بعض النحل الذي أدخله الرواة، كما أنّه من السذاجة أن نولي الروايات الشعرية كامل ثقتنا. وقد اتّفق المستشرقون وعلماء العربية على معالجة هذه القضية معالجة علميّة بحتة، وراحوا يتـتبعون النصوص والروايات، ويقارنون فيما بين الأقوال والآراء.(الفاخوري، ١٩٨٥م: ١٠١)

ولو سلّمنا بالانتحال والمحاكاة نستنتج أنّ هناک نماذج سابقة وتقاليد أدبيّة موروثة قلدّت وحوكيت. و نفس هذه المحاكاة تدلّ على وجود أصل كانوا يحاكونه، إذ لايمكن أن يحاكوا شيئا لم يبق منه ما يتيح لهم هذه المحاكاة. وإذن فلا بدّ أن يكون هناک شعر جاهلي عرفه الاسلاميون وحاكوه. و نضيف إلى ذلک أنّ في الشعر الجاهلي صورا من الأساليب والتراكيب

Archive of SID

www.SID.ir

الملتوية التي تخرج على الصورة النحوية الطبيعية مما يدلّ على قدمها وأنها ليست من صنع العباسيين وأيضا فإنّ فيه صورة لتهتک خلقي لا يمكن أن تقوم إلا في نفس وثنى على نحو ما يلقانا في معلقة امرئ القيس وحديثه عن المرضع وبسطه لجوانب متعته بالمرأة.

الشعرالجاهلي بين الشکّ واليقين

ألف) الشعر الجاهلي ونحله عند الأقدمين:

اقترنت ظاهرة الشکّ بقضية النحل التي هى طبيعيّة في الشعر وليس بوسع المرء أن ينكرها، وأمرها ليس خافياً على الدارسين، و في الحقيقة لاتقتصر على أمّة دون غيرها من الأمم. ثبت أنّ العرب لم يدوّنوا شعرهم في الجاهلية في ديوان أو كتاب، وإنما كان محفوظاً في الصدور مما قد سبّب ضياع كثير من الشعرالجاهلي، وأُصيب بالاختلاق والانتحال.

(الجاحظ، البيان والتبيين، ۱۹۷۵م: ج۲، ۱۸، والجاحظ، الحيوان، ۱۹۹۶م: ج۲، ۱۳، والأصفهانى، ۱۴۰۷هـ.ق: ج۷، ۱۲۰، وابن عبدربه، ۱۴۰۴هـ.ق: ج ۶، ۱۲۵).

ولم يخف هذا على الرواة والعلماء الأقدمين، فقد تنبّه كثيرون منهم، ومِن أشهرهم:

۱- عبدالملک بن هشام[۱] تـ ۲۱۳ هـ.

۲- محمد بن سلام الجمحى[۲] تـ ۲۳۲ هـ.

وامّا ما فعله ابن هشام في كتابه «السيرة النبوية» فهو تعقيب ما يروي «محمد بن اسحاق[۳]» وكلّ ما أخذه «ابن هشام» على «ابن اسحاق» يمكن أن نلخّصه في أمورٍ اربعة:

۱- يورد الأشعار التي أوردها «ابن اسحاق» وينسبها إلى ما نسبها إليه «ابن اسحاق» ثم يضيف قائلا: إنها قد تنسب كلّها أو بعضها إلى غيره. فمِن ذلک: ما يروي لأمية بن أبى الصلت ينسب لغيره أيضا. (ابن هشام، ۱۳۵۵هـ.ق: ج۱، ۶۲)

۲- يورد الحادثه التاريخية كما وردت في سيرة «ابن اسحاق»، حتى إذا وصل إلى الشعر الذي قيل في هذه الحادثة أسقطه،لأنه لم يصحّ عنده.ومن ذلک: ما ذكره «ابن اسحاق» مِن نذرِ «عبدالمطلب»ذبح ولده، فحذف ما جاء في أثناء هذا الحديث من شعر.(المصدر نفسه: ج۱، ۱۶۴)

Archive of SID

www.SID.ir

٣- يذكر أبياتاً من الشعر الذي أورده «ابن اسحاق»، ويكتفي بها ولا يورد باقيها. ومِن ذلک: ما أورد «ابن اسحاق» لعكرمة بن عامر بن هشام وقد اختار «ابن هشام» ثلاثة أبيات منها فقال: «هذا ماصحّ له منها.» (المصدر نفسه: ج١، ٥٣).

٤- يورد الشعر الذي أورده «ابن اسحاق» ثمّ يذكر أنّ كلّه منحول. ومن ذلک: ما رواه «ابن اسحاق» من شعر «سعد بن أبی وقاص» و«حمزة بن عبدالمطلب. (المصدر نفسه: ج٢، ٢٥٤).

وأمّا «ابن سلّام» يتمثّل موقفه في قضيّةالانتحال في الشعرالجاهلي فيما يلی:

١- موقفه النظري:

لاحظ «ابن سلّام» أنّ في الشعر الجاهلي شعراً موضوعاً مفتعلاً، وقد حاول تفسير هذه الظاهرة وردّها لسببين:

أ) تزيد القبائل في شعر الشعراء: لأنها لاحظت أنّ حظّها مِن الشعر قليل إذا قورن بالقبائل الأخرى.

ب) تزيد الرواة: فقد لاحظ أنّ كثيراً مِن الرواة حمّلوا شعراً مصنوعاً أو أنهم كانوا يصنعون الأشعار وينسبونها إلى شعراء جاهليين وقد قسّم هؤلاء إلى قسمين:

الأوّل: متخصص بروايةالشعر كحماد الراوية.

الثاني: رواة الأخبار والسير وقد مثّل لهؤلاء «بابن اسحاق».(الجمحی، محمد بن سلّام، ١٩٧٤م: ٣٩)

٢- موقفه التطبيقي:

و أمّا موقفه التطبيقي فقد تمثّل في تراجمه لكثير مِن الشعراء الذين صنّفهم في طبقات، فكان يرجع إلى أشعارهم كما انّه كان يشير إلى وضع أشعار بعض هؤلاء كما فعل في ترجمته لحسّان بن ثابت وأمية بن ابي الصلت. (المصدر نفسه: ١١٦)

Archive of SID

www.SID.ir

الشعر الجاهلي ونحله عند «مرجوليوث[٤]»:

كان «مرجوليوث» مِن أوائل من أثار الشک في الشعرالجاهلي مِن المستشرقين وبنى رأيه على ضربين مِن الأدلّة:

١- الأدلّة الخارجية:

أ) لو فرضنا انّ هذا الشعر حقيقيّ: فكيف حُفظ؟ إمّا بالرواية الشفهية وإمّا بالكتابة. ويبدو أنّ الرأى الأول هو الذي يذهب إليه المؤلّفون العرب، ولايمكن أنّه قد حُفظ بالروايةالشفهية للأسباب التالية:

- إذا كان الشعر قد حُفظ بالرواية الشفهية فلا يمكن أن يكون ذلک إلا إذا وُجد أفراد مهمّتهم حفظه؛ ونحن لانجد هؤلاء إلّا خلال العقود الأولى من الإسلام.
- أتباع الشعراء هم الغاوون فحديث القرآن عنهم فيه احتقار لهم.

ب)فلم يبق إلّا الاحتمال الثاني هو: أنّ هذه القصائد حُفظت بالكتابة، فالكتابة أيضا ننفيها من وجهين:

- ما يصرّح به القرآن نفسه، فإنّ وجود أدب فصيح قبل الإسلام بلغة القرآن وبالكتابة الحميريّة أو بأيّ خطّ آخر يبدو مناقضاً لتصريح ألفاظ القرآن، فالقرآن يسأل أهل مكة: (أم لكم كتاب فيه تدرسون) القلم/٣٧، ويسأل أهل الكفّار والمشركين: (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) القلم/٤٧

- إنّ الأدب في تطوّره يسير عادة مِن الصور الشاذة غير المنظمة إلى الصور المألوفة المنتظمة، ومن هنا نستنتج أنّ الشعر الذي يُزعم أنه جاهلي إنما هو مرحلة تالية للقرآن لاسابقة عليه.

- إنّ رواة القرنين الثاني والثالث الهجريين كحمّاد الراوية،٥ وخلف الاحمر،[٦] والأصمعي،[٧] لم يكن يوثق بعضهم بعضا.

(الأسد، ١٩٨٨م: صص ٣٥٦إلى ٣٥٨)

Archive of SID

www.SID.ir

٢- الأدلّة الداخلية:

أ) في هذا الشعر الجاهلي إشارات إلى قصص ديني ورد في القرآن وما فيه من كلمات دينية إسلامية مثل: الحياة الدنيا، يوم القيامة، ويوم الحساب؛ وإنّ الشعراء من جميع الأمم لايتركون الناس بعدهم يشكون في أمر ديانتهم، والعرب في نقوشهم واضحون صريحون في هذا الموضوع، فإنّ أكثر هذه النقوش تذكر إلها أو آلهة وأموراً تتصل بعبادتها، ولكن الإشارات إلى الدين في الأشعار التي بين أيدينا قليلة، ولانجد من الشعر جوّ الآلهة المتعددة الذي نجده في النقوش.

ب) اللغة: ويكون مدار البحث في هذا الدليل على أمرين:

- إختلاف بين لهجات القبائل المتعددة.
- إختلاف بين لغة القبائل الشمالية واللغة الحميرية في الجنوب غير انّ هذا الشعر الجاهلي كلـّه بلغة القرآن.

ج) إتفاق القصائد الجاهلية في التطرق لموضوعات واحدة بعينها تتكرّر في كل قصيدة أمرٌ يدلّ على أنها نُظمت بعد نزول القرآن لاقبله. (المصدر نفسه: صص ٣٦٠ إلى ٣٦٥)

الشعر الجاهلي ونحله عند العرب المحدثين:

الأستاذ مصطفي صادق الرافعي[٨]:

هو أوّل من تطرّق إلى هذا الموضوع من العرب المحدثين في كتابه «تاريخ آداب العرب»، يلخّص الرافعي البواعث التي أدّت إلى الانتحال فيمايلي:

١- شعر الشواهد، وهو النوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع لحاجة العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو.

٢- تكثـّر القبائل، لتعتاض ممّا فقدته بعد أن راجعت الراوية وخاصّة القبائل التي قلـّت وقائعها وأشعارها وكانت أولاها قبيلة قريش، فقد وضعت على حسّان أشعاراً كثيرة.

Archive of SID

www.SID.ir

٣- الشواهد التي كان بعض المعتزلة والمتكلّمين يولدونها للاستشهاد بها على صحّة مذاهبهم.

٤- الشواهد على الأخبار، فلمّا كثر القصّاصون وأهل الأخبار اِضطرّوا من أجل ذلک أن يصنعوا الشعر، فوضعوا من الشعر على آدم(ع)، وأوّل من أفرط في ذلک «محمد بن اسحاق.»

٥- الاتّساع في الرواية، أراد فحول الرواة أن يتّسعوا في روايتهم، لذا وضعوا على فحول الشعراء قصائد لم يقولوها، وزادوا في قصائدهم التي تعرف لهم، وأدخلوا من شعرالرجل في شعر غيره. (الصادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٢٠٠٠م: ج١، صص ٣٦٦ إلى ٣٧٩)

الأستاذ طه حسين:

ثم استقرّ الموضوع بين يدى الدكتور «طه حسين»، فخلق فيه شيئاً جديداً لم يعرفه القدماء والمحدثون من العرب، متأثّراً إلى حدّ كبير ببعض أطروحات «مرجوليوث»، سلک مسلكه، وسار على نهجه حتى انتهى إلى ما انتهى: «من أنّ الكثرة المطلقة مِن الشعر الجاهلي منتحل بعد ظهور الإسلام ولايمثّل شيئاً من الحياة الجاهلية ولذلک لا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الصحيحة للعصر الجاهلي.» (طه حسين، في الشعر الجاهلي، ١٩٦٢م: ١٩)

دوافع الشک لدى طه حسين:

١- إنّ الشعر الجاهلي لايمثّل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية للعرب الجاهليين. (طه حسين، في الأدب الجاهلي، د.ت: ٨٨)

ثم فصّل القول في كل جانب من هذه الجوانب:

أ) الحياة الدينية: إنّ هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين يصوّر لنا حياة غامضة جافّة بريئة من الشعور الدينيّ، أوَ ليس عجيباً أن يعجز الشعر الجاهلي كلّه عن تصوير الحياة الدينية للجاهليين وأمّا القرآن فيمثّل لنا حياة دينية قويّة تدعو أهلها إلى أن يجاد لوا عنها ما وسعهم الجدال؟! (المصدر نفسه: ٨٨)

Archive of SID

www.SID.ir

ب) الحياة العقلية: الشعر الجاهلي لايمثّل الحياة العقلية، أفتظنّ هؤلاء القوم من الجهل والغباوة والغلظة والخشونة بحيث يمثّلهم لنا هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين؟ كلّا، لم يكونوا جهّالا و لاأغبياء وإنما كانوا أصحاب علم وذكاء وأصحاب عواطف رقيقة وعيش فيه لين ونعمة. (المصدر نفسه: ٨١)

ج) الحياة السياسية: إنّ العرب كانوا على إتّصال بمن حولهم من الأمم بل كانوا على اتّصال قوى، أليس في القرآن سورة تسّمي سورة الروم؟ لم يكن العرب إذن كما يظنّ أصحاب هذا الشعر الجاهلي معتزلين، فأنت ترى أنّ القرآن يصف عنايتهم بسياسة الفرس والروم. (المصدر نفسه: ٨٢)

د) الحياة الاقتصادية: أنت تستطيع أن تقرأ هذا الأدب الجاهلي كلّه دون أن تظفر بشيء ذي غناء يمثّل لک الحياة الإقتصادية، لكن إذا قرأت القرآن رأيت أنّه يقسّم العرب إلى فريقين: فريق الأغنياء وفريق الفقراء؛ وقد وقف الإسلام في صراحة وحزم إلى جانب هؤلاء الفقراء، فالتمس لي هذا أو شيئاً كهذا في الشعر الجاهلي. (المصدر نفسه: ٨٤)

هـ) الحياة الاجتماعية: هذا الشعر لايعني إلا بحياة الصحراء والبادية، ومن عجيب الأمر أنّا لانكاد نجد في الشعر الجاهلي ذكر البحر أو الإشارة إليه، وأمّا القرآن فيمنّ على العرب بأنّ الله قد سخّر لهم البحر وبانّ لهم في هذا البحر منافع كثيرة. (المصدر السابق: ٨٧)

٢- اختلاف اللغة:

إنّ هذا الشعر بعيدٌ كل البعد عن أن يمثّل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنّه قيل فيه. (المصدر السابق: ٨٨)

وإنّ هناک خلافاً جوهرياً بين لغة حمير ولغة عدنان ويرجع هذا إلى أمرين:

أ) ما قاله أبو عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا».

ب) إنّ البحث الجديد أثبت خلافاً جوهرياً بين اللغة التي كان يستعملها الناس في جنوب البلاد العربية واللغة التي كانوا يستعملونها في شمال هذه البلاد، إذن فما خطب هؤلاء الشعراء

Archive of SID

www.SID.ir

الذين ينسبون إلى قحطان، والذين كانت كثرتهم تنزل اليمن قدهاجرت إلى الشمال؟ إمّا أنّ هؤلاء الناس كانوا يتكلّمون لغتنا العربية الفصحى ففرضٌ لاسبيل إلى الوقوف عنده، فقد ظهر أنّهم كانوا يتكلمون لغة اُخرى، وإمّا اتّخاذ اهل الجنوب اللغة العدنانية لغة أدبية وهذا مرفوضٌ لأنّ السيادة السياسية والاقتصادية التي من شأنها أن تفرض اللغة على الشعوب قد كانت للقحطانيين دون العدنانيين. (المصدر السابق: صص ٨٩ إلى ٩٨)

٣- اختلاف اللهجات:

الرواة مجمعون على أنّ قبائل عدنان لم تكن متّحدة اللغة ولا متّفقة اللهجة قبل أن يظهر الإسلام، فإذا صحّ هذا، كان من المعقول أن يظهر اختلاف اللغات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل قبل أن يفرض القرآن على العرب لغة واحدة ولهجات متقاربة، ولكنّنا لانرى شيئاً من ذلک في الشعر الجاهلي؛ إذن نحن بين اثنين:

أ) إمّا أن نؤمن بأنّه لم يكن هناک اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان في اللغة ولا في اللهجة ولا في المذهب الكلامي.

ب) وإمّا أن نعترف بأنّ هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل، وإنما حُمّل عليها بعد الإسلام حملاً.

فنحن إلى الثانية أميل منّا إلى الأولى؛ فالبرهان القاطع قائم على أنّ اختلاف اللغة واللهجة كان حقيقة واقعة بالقياس إلى عدنان وقحطان.(المصدر السابق: صص ١٠٣ و١٠٤)

٤- الاستشهاد بالشعرالجاهلي على ألفاظ القرآن والحديث:

إنّا نلاحظ أنّ العلماء قد اتّخذوا هذا الشعر الجاهلي مادّة للاستشهاد على ألفاظ القرآن والحديث ونحوهما ومذاهبهما الكلامية، حتى إنک تحسّ كأنّ هذا الشعر إنما قُدّ على قدّ القرآن والحديث، لايزيد ولاينقص عمّا أراد طولاً وسعة، وهذه الدقة في الموازنة تحملنا على الشکّ والحيرة، وأن نسأل أنفسنا: أليس من الممكن ألّا تكون هذه الدقة في الموازنة نتيجة

Archive of SID

www.SID.ir

من نتائج المصادفة وإنما شي تكلّف أنفق فيه أصحابه بياض الأيام وسواد الليالي؟ (المصدر السابق: ص ١٢٠)

الأسباب التي ادّت إلى انتحال الشعر الجاهلي عند طه حسين:

١- السياسة:

إنّ العصبية بين المهاجرين والأنصار، أو بعبارة أصحّ، بين قريش والأنصار قد كانت من أهمّ الأسباب التي حملت العرب على انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين؛ نظرت قريش فإذا حظّها من الشعر قليل في الجاهلية فاستكثرت منه في الإسلام. (المصدر السابق: ص ١٣٢)

٢- الدين: ظهر العامل الديني في انتحال الشعر الجاهلي في عدّة أوجه، منها:

أ) النحل الذي يقصد به إلى إثبات صحّة النبوة وصدق النبي وكان هذا النوع موجّهاً إلى عامة الناس.

ب) الأشعار المنحولة التي أضيفت إلى الجاهليين من عرب الجنّ، والغرض من هذا هو إرضاء حاجات العامّة الذين يريدون المعجزة في كلّ شئ.

ج) ما نحل القصّاص لتفسير ما يجدونه مكتوباً في القرآن من أخبار الأمم القديمة البائده كعاد وثمود ومَن إليهم.

د) شعروا بالحاجات إلى إثبات أنّ القرآن كتاب عربيّ مطابق في ألفاظه للغة العرب فحرصوا على أن يستشهدوا على كل كلمة من كلمات القرآن بشئ من شعر العرب.

هـ) العصبية التي حملت العرب على الانتحال كذلك حملت اليهود والنصارى أن يتعصّبوا لأسلافهم من الجاهليين، فنحلوا كما نحل غيرهم وأضافوا إلى السموأل وإلى غيره من شعراء اليهود والنصارى. (المصدر السابق: صص ١٤٧ إلى ١٦٣)

٣- القصص: إنّ القصص العربي لاقيمة له ولا خطر في نفس سامعيه إذا لم يزيّنه الشعر من حين إلى حين، إذن فقد كان القصص أيام بني أميه و بني العباس في حاجة إلى مقادير لاحدّ لها

Archive of SID

www.SID.ir

من الشعر يزيّنون بها قصصهم وهناک ثلاثة ضروب من القصص کان بحاجة ماسّة إلى الانتحال:

أ) قصص لتفسير طائفة من الأمثال والأسماء والأمکنة.

ب) قصص المعمّرين وأخبارهم.

ج) قصص أيام العرب وأخبارها. (المصدر السابق: صص ١٦٨ إلى ١٧٦)

٤- الشعوبية: نحن نعتقد أنّ هؤلاء قد نحلوا أخباراً وأشعاراً أضافوها إلى الجاهليين أو الإسلاميين، ولم يقف أمرهم عند نحل الأخبار والأشعار، بل هم قد اضطرّوا خصومهم ومناظريهم إلى النحل والإسراف فيه. (المصدر السابق: ص ١٧٨)

٥- الرواة: کان الرواة يسرفون في اللهو والعبث، وينصرفون عن أصول الدين وقواعد الأخلاق إلى ما يأباه الدين، إذا فسدت مروءة الرواه کما فسدت مروءة حماد وخلف و أبي عمرو الشيباني کان من الحق علينا ألّا نقبل مطمئنّين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء.

و هنالک طائفة من الرواه کانوا يتّخذون النحل في الشعر واللغة وسيلة من وسائل الکسب نريد بهم هؤلاء الأعراب الذين کان يرتحل إليهم في البادية رواةُ الأمصار يسألونهم عن الشعر والغريب. (المصدر السابق: صص ١٨٨ إلى ١٩٢)

الردود على طه حسين وأدلّته:

لايزال الحديث يتردّد حول کتاب الدکتور طه حسين (في الشعرالجاهلي)، فأخذ العلماء والأدباء أقلامهم وتناولوا الکتاب وما فيه بالنقد، بعضهم اعتدل في النقد والتزم حدود الموضوع ومضى ينقد في أسلوب هادىء، والآخر غلا في النقد حتى اشتدّ وغلب عليه الطابع الشخصي الذي أبعده عن الطرح العلميّ حتى قيل: «إنّه حاشية طه حسين على متن مرجوليوث».

(الجندي، د.ت: ١٦٦)

فموضوع الکتاب في ظاهره موجّهٌ للشک في الشعرالجاهلي لکنّه في حقيقته دعامة من دعائم الکفر ومعول لهدم الدين وکأنّه ما وضع إلا ليأتى على هذا الدين من أصوله وذلک لم

Archive of SID

www.SID.ir

يكن مستبعداً من الدكتور طه حسين الذي كان من أعظم ثمار التغريب الواسعة.(صادق الرافعي، تحت رأية القرآن، ١٤٠٣هـ: ١٦٨)

ثم استقرّ الأمر بين يدي رجال الأزهر يندّدون بإلحاد الدكتور طه حسين وكفره على تعاليم الدين الحنيف، ولما رأى الدكتور انّ الأمر قد بلغ به إلى هذا الحدّ أسرع فاستبدل كتابه بكتاب «في الأدب الجاهلي» لكنّه لم يغيّر شيئاً من جوهره وإنما حذف بعض الكلمات والجمل الجارحة.

و لم يكد يمضي على صدور كتاب «في الشعر الجاهلي» ثم صدور النسخة المعدّلة له التي نشرت في العام التالي بعنوان «في الأدب الجاهلي» حتى كانت هناك مجموعات من المؤلّفات تنتقد الكتاب؛ وتفاوت نقد هؤلاء، واختلفت طرائقهم. ومن أهمّ المؤلفات التي برزت في هذا المجال:

١- «نقد كتاب الشعرالجاهلي» لمحمد فريد وجدي.

٢- «الشهاب الراصد» لمحمد لطفي جمعة.

٣- «نقض كتاب في الشعرالجاهلي» لمحمد الخضر حسين.

٤- «النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي» لمحمد أحمد الغمراوي.

٥- فصولٌ من كتاب «تحت راية القرآن» لمصطفى صادق الرافعي.

و من هنا رأيت دراسة بعض هذه الكتب دراسة تكون تلخيصاً لردود هؤلاء على الدكتور طه حسين:

١- الشعرالجاهلي مرآة لنفوس قائليه ونفوسهم:

أ) يدلّ الشعرالجاهلي في جملته على نفوس ناظميه وحياتهم لأنّ الشعر ديوان العرب ومستودع تاريخهم ومرآة حياتهم، وعلى الرغم ممّا يبدو للوهلة الأولى من أنّ الشعر الجاهلي محصورٌ في النوع الوجداني الشخصي(ليريک) فإنّه في الحقيقة شامل لجميع الأنواع الوصفية والتاريخية والاجتماعية والقصصية. (لطفي جمعة، م١٣٤٤هـ.ق: ٧٠)

Archive of SID

www.SID.ir

ب) إنّ القرآن لايصوّر العرب في الجاهلية أمّة متديّنة قويّة التديّن، وإنّ هذا لاينطبق إلا على أهل مكة والمدينة ومن حولها، ولا ينطبق على من حولها مثل ما ينطبق عليهما، ومكة والمدينة وما حولها ليست هى كلّ بلاد العرب، فمن الخطأ الواضح إذن أن يجعل الدكتور ما ينطبق عليهم ينطبق على جميع العرب وأن يستند في ذلک على القرآن.(أحمد الغمراوي، ۱۹۲۹م: ۱۴۷)

ج) إنّ معظم شعر العرب كان في الفخر والحماسة وإنّ المسلمين صرفوا عنايتهم عن رواية الشعر الذي يمثّل ديناً غير الإسلام ولا سيّما دين اللات والعزّى وعلى الرغم من هذا كلّه، وصلت إلينا بقية من الشعر الذي يحمل شيئاً من الروح الديني تجده في كتاب «الأصنام» لابن الكلبي وغيره. (الخضر حسين، ۱۳۴۵هـ.ق: ۴۸)

د) قياس الشعر الجاهلي في هذا الجانب على القرآن الكريم مردود أو منقوص، لأنّ القرآن كتاب دينيّ يريد أن يجمع العرب على الإسلام فطبيعيّ أن يعرض لدياناتهم ويناقشها ويبيّن ما فيها من ضلال بخلاف الشعر. (ضيف، ۱۹۶۹م: ۱۷۱)

هـ) إنّ اتّصال العرب بما حولهم من الأمم لايصدّق عليهم جميعاً، إنّما يصدّق على قريش وقوافلها التجارية ومع ذلک فقد كان شعراء نجد والحجاز يتّصلون بالغساسنه من أتباع الروم، والمناذرة من أتباع الفرس ويمدحونهم ويهجونهم. (المصدر نفسه: ۱۷۲)

و) إنّ شعر الصعاليک طافحٌ بما يصوّر النضال بين الأغنياء والفقراء ولابدّ أن نلاحظ أنّ كثيراً من القرآن نزل في قريش التاجرة التي بلغت مبلغاً عظيماً في الثراء والتي كان يشيع فيها الربا أضعافاً مضاعفة. (خليف، ۱۹۵۹: ۱۳۲)

ز) لقد عجبتُ لأستاذ الجامعة كيف يعتمد في تصوّر العصر الجاهلي على التاريخ والأساطير؟! وكيف تصحّ عنده الأساطير ويصحّ التاريخ العربي دون الشعر الجاهلي؟! وهل جاء هذا الشعر إلا من الطريق التي جاءت منها الأساطير والتاريخ أي: بالرواية والإسناد والحفظ والتلقين؟ وإذا جاءت ثلاثتها من طريق واحدة وكان الكذب والوضع قد دخلها جميعها فكيف

Archive of SID

www.SID.ir

يكون العصر الجاهلي في اثنين منها دون الثالث؟ (الصادق الرافعي، تحت راية القرآن، ۱۴۰۳هـ.ق: ۱۵۷)

ح) هنا نذكر أشعاراً من الجاهلي يصوّر لنا الحياة الجاهلية:

- دانت العرب للأصنام واتّخذوها إلها، فكان أقدسها كلّها «مناة»، يقول «عبدالعزّى بن وديعة المزني»:

إنّي حَلَفتُ يَمينَ صِدقٍ برّةٍ بِمَناةَ عندَ محلِّ آلِ الخَزرجِ

- و هذا امرؤالقيس قد ذكره طه حسين وادّعى خلوّ شعره من صورة الحياة الدينيّة ونحن نفنّد دعواه بشعر امرئ القيس إذ يقول:

واللهُ أنجَحُ ما طلبتُ به والبرُّ خيرُ حَقيبةِ الرّجُلِ

هذا البيت من أصدق أبيات العرب. (الشيخواليسوعي، ۱۸۹۰م: ج۱، ۵۷)

- و من عاداتهم «الرتم» كان الرجل إذا سافر عمد إلى خيط فعقده في غصن شجرة، فإذا عاد نظر إليه فإن وجده بحاله علم أنّ زوجته لم تخنه، قال «الكميت»:

لا تَحسَبَنَّ رَتائِماً[۹] عقدتَها تُنبيكَ عنها باليقينِ الصادقِ

(لطفي جمعة، ۱۳۴۴هـ.ق: صص ۷۳ إلى ۹۱)

۲- الشعر الجاهلي واللهجات العربية (الدليل اللغوى):

قد أفاض الناقدون في نقد هذا الدليل ونقضه:

أ)إنّ الاختلاف بين اللغة القحطانية والعدنانية قد خفّ في عهدٍ تقدّم ظهور الإسلام بعشراتِ من السنين، والذي جعل اعتقادنا يدنو من هذه النظريّة هو أنّ الاتحّاد الحاصل بين القحطانية والعدنانية بعد ظهور الإسلام لايكون إلا عن تقارب وتشابه هيئتهما ممّا يسّر أن تكونا لغة واحدة، لإنّ انقلاب لغة إلى أخرى تخالفها في مفرداتها وقواعد نحوها وصرفها ليس بالأمر الميسور حتى يمكن حصوله في عشرات قليلة من السنين، وإنّ العثور على نقوش باللغة الحميرية يرجع تاريخها إلى المائة الخامسة والسادسة للميلاد لاينقض هذا الرأى، بل يدلّ على

Archive of SID

www.SID.ir

أنّ سكّان الناحية التي انطوت على هذا الأثر ما زالوا على لسان حميرالقديم، وهذا لاينفي أن يكون غيرها من القبائل القحطانية قد ارتاضت ألسنتهم بلغة تشبه اللغة العدنانية. (الخضر حسين، ۱۳۴۵هـ.ق: صص ۷۰ و۷۱)

ب) إنّ الدكتور مسّ عبارة أبي عمرو بن العلاء «ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولاعربيّتهم بعربيّتنا» بالتحريف، وحوّله إلى قوله: «وما لغتهم بلغتنا» لقصد المبالغة في الفصل بين اللغتين، وليصرف ذهن القاري عن أن يفهم أنّ تلک اللغة عربيّةٌ وإنّما تختلف عن العدنانية. ومسّ عبارته بالتحريف مرّة أخرى فقد حذف «أقاصي اليمن»، حتى لايأخذ منها القرّاء أنّ لغة غير الأقاصي و هي القبائل المجاورة للقبائل المضريّة ليس بين عربيتها وعربية مضر هذا الاختلاف. (المصدر نفسه: ۷۳)

ج) فما هي اللهجات يا أستاذ الجامعة؟ كان ينبغي أن تستقريها قبل أن تعترض بها، فإنّک لوفعلت لرأيتها في الجملة لاتغيّر شيئاً من أوزان الشعر، فهي في معظمها: بين إبدال حرف بحرف، أو حركة بحركة، أو مدّ بمدّ، وكلّ ذلک لايؤثّر في إقامةالوزن كثيراً ولا قليلاً، والاختلاف في الحقيقة هيئات في النطق والصوت أكثر ممّا هو هيئات في الوضع واللغة، ومع ذلک فقد نصّوا على أنّ العربى الفصيح غير مقيّد بلغة قبيلته إذا نافرت طبع الفصاحة فيها، ومِن القبائل مَن تأخذ لغة غيرها كما فعلت قريش فقد كانت لاتهمز، فلمّا نزل القرآن بالهمز اتّخذت هذه اللهجة. (صادق الرافعي، ۱۴۰۳م: تحت راية القرآن، ۱۴۸)

د) عندنا نصٌ عن ابن الكلبي أنّ العرب لم تروِ من شعر الجاهلية إلا ما كان إلى مائة سنة قبل الإسلام أي: عمر رجلين يروي أحدهما عن الآخر وذلک هو الزمن الذي نهضت فيه اللغة وأخذ العرب بعضهم عن بعض. (المصدر السابق: ۱۴۸)

هـ) لقد جهل المؤلف أو تجاهل أنّ اختلاف اللهجات (اللغات) كان قائماً، واستمرّ بعد ظهور الكتاب المنزل على أفصح العرب، ولاشکّ في أنّ قبائل العرب على اختلافها قد قالت الشعر بعد الإسلام ولم يظهر فيه اختلاف اللهجات. (لطفي جمعة، ۱۳۴۴هـ.ق: ۱۴۵)

Archive of SID

www.SID.ir

۳- أجمعت الروايات أنّ الشعراء في جنوب الجزيرة وشمالها أصبحوا من قبل الإسلام ينظّمون الشعر بلهجة واحدة(قريش) أو متقاربة:

أ) أثبت العلماء اللغويون أنّ العرب كانوا يأخذون الألفاظ والكلمات بعضهم عن بعض بالاختلاط والجوار، فكان قريش يسمعون لغاتهم؛ وقد ساعدتهم الحضارة في جوار الكعبة، فلطفت طباعهم، وارتفعت لغتهم على سائر اللغات (اللهجات)، وكانت الأسواق الأدبية التي يقيمونها العرب مظهراً من مظاهر الحضارة، و وسيلة من وسائل التمدين؛ فاضطرّ فحول الشعراء والخطباء إلى منطق قريش ولغتهم ولهجتهم.(بروكلمان، ۱۹۴۹م: ج۱، ۴۲، وبلاشير، ۱۹۸۱م:، ج ۱، ۷۷)

ب) أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيّامهم أنّ قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة. (سيوطي، د.ت: ج۱، ۲۱۱)

ج) كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم، حتى إنّ سائر العرب على نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل الفصاحة العربية. (ابن خلدون، ۱۹۹۳م: ۴۰۹)

د) إنّ لهجة قريش عمّت في الجزيرة منذ أوائل القرن السابع الميلادي واتّخذها الشعراء لغة أدبيّة لهم، ينظمون فيها أشعارها مرتفعين غالباً عن لهجات قبائلهم المحلية. (ضيف، ۱۹۶۹م: ۱۷۲)

۴- ومع كلّ هذا فهناک أشعار جاهلية يظهر فيها اختلاف اللهجات:

أ)قال شاعر من بنى تميم:

ولا اكُولُ لِكَدرِ الكَومِ قَد نَضَجَت ولااكُولُ لبابِ الدّارِ مَكفُولُ

يريد: لاأقول لقدرالقوم الخ، و هي القاف المعقودة التي ينطقونها بين القاف والكاف، وكانت شائعة بين العرب وهي غير القاف الخالصة التي يقرأ بها القرآن. فهل رُوي كلّ شعر بني تميم

Archive of SID

www.SID.ir

على هذا الوجه؟ وماذا لوأبدلت الكاف في البيت قافاً لتوافق اللغة الفصحى في الإنشاد.(صادق الرافعي، مصطفى، تحت راية القرآن۱۴۰۳هـ.ق: ۱۴۸، ۱۴۹).

ب) قال امرؤالقيس:

كَـجُلمودِ[۱۰] صخرٍ حَطّه السيلُ مِن عَلِ

من «عل» يعني من «فوقه»

ج) وقد ترد كلمة «بعد» بمعنى «عن»، كما جاء في قول النابغة:

لآل الجَلاحِ كابراً بَعدَ كابِرِ

يقصد: كابراً عن كابر

د) جاءت «متى» في لغة «هُذَيل» بمعني «مِن». قال شاعرهم:

شَربنَ بماءِ البَحرِ ثُمَّ تَرفّعَت مَتى لُجَجٍ خُضرٍ لَهُنّ نَئيجُ[۱۱]

(لطفي جمعة، ۱۳۴۴هـ.ق: ۱۵۴ إلى ۱۵۷)

نقد أسباب انتحال الشعر الجاهلي عند طه حسين

۱- السياسة ونحل الشعر: أجمع النقّاد على أنّ الدكتور طه حسين لم يورد شيئاً من الشعر الجاهلي الذي دعت السياسة إلى نحله، ومع أنّه أطنب في الحديث عن المقدمات الظنّية والفروض المتخيّلة ولكنّه لم ينته بها إلى النهاية التي يدلّ عليها عنوان الفصل.(الخضر حسين، ۱۳۴۵هـ.ق: ۱۸۵، ولطفي جمعة، ۱۳۴۴هـ.ق: ۱۹۳)

۲- الدين ونحل الشعر:

أ) ينكر المؤلّف كلّ ما يروى من الشعر والأخبار الممهّدة للبعثة النبويّة، وإنكارها على هذا الوجه إنّما تسمعه ممّن ربط قلبه على نفي النبوة، إذ ليس من المحتمل عنده أن يقال فيها شعرٌ قبل أن يدّعيها صاحبها، أمّا الذين يعتقدون بأنّ نبوّة أفضل الخلق حقٌ فمن الجائز عندهم أن يسبقها شعر أو خبر يتّصل بها.(الخضر حسين، ۱۳۴۵هـ.ق: ۱۸۸)

Archive of SID

www.SID.ir

ب) يريد مؤلّف كتاب «الشعر الجاهلي» أن يخدع القارئ ويوهمه أنّ كلّ ما في الأدب العربيّ من نثر وشعر عن الجنّ إنّما وُضع بعد الإسلام لتبرير سورة الجنّ، والحقيقة أنّ عرب الجاهلية كانوا يعتقدون بالجنّ، ونظموا شعراً جاهلياً كثيراً على علاقة الجنّ بالشعر والشعراء، ولم تكن أمّة سامية أو آرية تخلو من الاعتقاد بالجنّ أو الأرواح الخيرة والشريرة. (لطفي جمعة، ۱۳۴۴هـ.ق: ۲۱۲)

ج) إنّ انتظار بعض علماء العرب وكهّانهم وأحبار اليهود ورهبان النصارى لبعثة نبيٍّ عربيّ من المسائل التي ذكرها القرآن، وفي سيرة ابن هشام وغيرها من كتب التاريخ والسير نعثر على هذه المسألة ولا سيّما فيما يمهّد لبعثة النبي(ص)، ولكن لانجد بيتاً واحداً من الشعر في هذا الموضوع. (الخضر حسين، ۱۳۴۵هـ.ق: ۳۵)

د) إنّ ما ذكره طه حسين من منحول الشعر لإثبات عربية القرآن أمرٌ فيه غلوٌ وفيه خطأ، أمّا الغلوّ ففي قوله: إنّهم استشهدوا على كلّ كلمة منه، بين أيدينا التفسيران اللذان عنيا بهذا الإستشهاد، وهما: تفسير الطبري، وتفسير الزمخشري، ومع ما فيهما من الشواهد الكثيرة فإنّ ادّعاء الاستشهاد على كلّ كلمة لايؤيّد الواقع، وأمّا الخطأ، إنّ أكثر هذه الشواهد لشعراء إسلاميين، وقليل منها ما هو لشعراء جاهليين أو مجهولين، وليس الاستشهاد لإثبات عربية القرآن وإنّما هو لبيان مفهوم الكلمات. (المصدر نفسه: ۴۱ و۴۲)

۳- القصص ونحل الشعر: قد ذهب النقّاد إلى أنّ الدكتور طه حسين لم يأت بشئ جديد لم يذكره القدماء ولكنّه زاد عليهم بأن عمّم وأطلق أحكاماً كلية. (المصدر نفسه: ص ۲۴۵، ولطفي جمعة، ۱۳۴۴هـ.ق: ۲۴۵)

۴- الشعوبية ونحل الشعر: إنّ الدكتور طه حسين عقد فصلاً للشعوبية ونحل الشعر الجاهلي، ولكنّه لم يقم دليلاً على التلازم بينهما بل لم يأت برواية تدلّ على أنّ بعض الشعوبية إنتحل شعراً جاهلياً. (الخضر حسين، ۱۳۴۵هـ.ق: ص ۴۵، ولطفي جمعة، ۱۳۴۴هـ.ق: ۲۴۸)

Archive of SID

www.SID.ir

٥- الرواة ونحل الشعر: إن كان بعض المتعاصرين والأنداد من الرواة طعن بعضهم في بعض، فليس في الطعن حجّة أو دليل على صحّة التهمة؛ لأنّ اتّحاد الحرفة والمنافسة في الشهرة قد تدفع ببعض الرواة إلى الحسد والغيرة، لهذا قال الأقدمون: «إنّ المعاصرة حجابٌ»؛ فلا يجوز إذن أن نأخذ بما يقوله الرواة بعضهم في بعض. (المصدر نفسه صص ٢٧١ و٢٧٢، والخضر حسين، ١٣٤٥هـ.ق: ٢٦٤)

النتيجة

١- الحقّ أنّ الشعر الجاهلي فيه موضوع، غير أنّ ذلک لم يكن غائباً عن القدماء، فقد عرضوه على نقد شديد تناولوا به رواته من جهة، وصيغه وألفاظه من جهة ثانية؛ أو بعبارة أخرى عرضوه على نقد داخلي وخارجي دقيق. إذن فالقدماء قد أحاطوا الشعر الجاهليّ بسياج محكم من التحرّي والتثبّت، فكان ينبغي أن لايبالغ المحدثون من أمثال: مرجوليوث وطه حسين في الشکّ فيه مبالغة تنتهي إلى رفضه؛ **إنّما** نشکّ حقاً فيما يشکّ القدماء ونرفض ما يرفضونه. وأمّا ماوثقوه من مثل: أبي عمرو بن العلاء، والمفضّل الضبيّ، والأصمعيّ فحريٌّ أن نقبله ماداموا قد أجمعوا على صحّته. ومع ذلک ينبغي أن نخضعه للامتحان وأن نرفض بعض ما رووه على أسس علميّة منهجيّة لالمجرّد الظنّ، كأن يُروى لشاعر شعرٌ لايتّصل بظروفه التاريخيةِ، أو تجري فيه أسماء مواضع بعيدة عن موطن قبيلته، أو يضاف إليه شعرٌ إسلاميّ النزعة ونحو ذلک مما يجعلنا نلمس الوضع لمساً.

٢- صعبٌ جدّاً أن نقرّ أنّ كلّ ما وصلنا من شعر قديم هو صحيح سليم الرواية، فقد أخضع الشعر لرغبات سياسية واجتماعية، والأصعب أن ننفيه كلّه وأن نزعم أنّه منحولٌ عليهم لأنّ كتب السلف لم تنته إلينا بجملتها، ولا انتهى اكثرها، ولا ما يقال فيه إنّه كثير، فكيف يجوز لنا أن نحكم على شعر الجاهلية بأنّه موضوع أو محمولٌ على أهله، أو الكثرة المطلقة منه موضوعة محمولة، بيننا وبين الجاهلية خمسة عشر قرناً، وقد باد أكثر الكتب، إذن فلا يجوز لباحث أن

Archive of SID

www.SID.ir

يثبت أو ينكر، ويزيد أو ينقص إلا بنصّ عن المتقدّمين، لأنّ العلم لا يمكن أن يستقيم على الظنّ ولا أن يصحّ على الشكّ.

٣- إنّ الشعر المنسوب إلى الجاهلية ثلاث ضروب:

أ. موضوع محمول: وأكثره إمّا مِن وضع القصّاص ليحلّوا به قصصهم أو يكسبوه في نفوس السامعين، كالذي وضعوه على لسان آدم(ع)، أو على لسان بعض العرب البائدة، وإمّا أن يكون من وضع بعض الرواة ليثبتوا به نسباً، أو يدلّوا على أنّ لبعض العرب قدمة وسابقة.

ب. صحيح: وذلك هوالذي أجمع العلماء الرواة على إثباته بعد أن تدارسوا هذا الشعر وفحصوه ومحّصوه.

ج. مختلف فيه: وهوالذي قال عنه ابن سلّام وقداختلفت العلماء في بعض الشعر كما اختلفت في بعض الأشياء.

٤- من أعزّ نظريات طه حسين على نفسه أنّ الشعر الجاهلي لا يمثل حياة أهله، وهو يستشهد بأنّ القرآن الكريم أكثر منه عن حياة الجاهليين الدينيّة. وفاته أنّ القرآن كتاب ديني كان من همّه أن يحارب الديانات السابقة، وأنّه قانون مدني كان عليه أن يدرس حالة المجتمع قبل أن يسنّ القوانين، وأنّ الشعراء ليسوا على شيء من ذلك، بل جلّ ما كان يهمّهم من القوم حالتهم البدويّة، من حيث النهب والسلب والغزوات والفخر والمواسم، وشعرهم من هذا القبيل حافل بالكثير من الصور الساذجة الخالية من تأثير الحضارة البرّاقة حتى أصبح من الثابت عند علماء الشرق والغرب أنّ الشعر الجاهلي يمثّل فطرة الجاهليين أصح تمثيل.

٥- وأخيرا نرى أنّ إنكار الدكتور طه حسين لشعر فلان أو للشعر الجاهلي بإجماله كثير الجسارة لايسكن إلى الثابت من البراهين العقليّة ولا النقليّة، ومع هذا كلّه فإنّ مبدأه حسن يجمل بنا أن نتّخذه قاعدة في درس الآداب، فنشكّ عند أول فرصة للشكّ ونبحث في موضوعه دون أن ننفي بطريقة عامة وحكم باتّ كل الشعر الجاهلي.

Archive of SID

www.SID.ir

الهوامش:

١- عبدالملک بن هشام بن أيوب الحميري. كان مؤرّخا، عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب وُلد ونشأ في البصرة (٢١٣ هـ) وتوفي بمصر.

أشهر كتبه: السيرة النبوية،المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن اسحاق.(الزركلي، ٢٠٠٧م: ج٤ ص١٦٦، وابن خلّكان، ١٩٤٨م: ج١، ٢٩٠، وابن كثير، ١٩٨٨م: ج١٠، ٢٦٧)

٢- محمد بن سلاّم الجمحي، إمام في الأدب وُلد في البصرة(٢٣٢هـ) مات ببغداد، له كتب منها: طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين وكان يقول بالقدر، فقال أهل الحديث: يكتب عنه الشعر، أمّا الحديث فلا.(ابن نديم، ١٣٤٣هـ.ق: ١١٣، والصفدي، ١٩٦٢: ج٣، ١١٤، الزركلي،٢٠٠٧م: ج٦، ١٤٦)

٣- محمد بن إسحاق مِن أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، له: «السيرة النبوية».

هذّبها ابن هشام، وُلد سنة ١٥١هـ، زار الإسكندرية سنة ١١٩هـ، وسكن بغداد، فمات فيها ودفن بمقبرة الخيزران.(دائرة المعارف الاسلاميّة ج١، ٨٨، والزركلي، ٢٠٠٧م:، ج٦، ٢٨)

٤- دافيد صمويل مرجوليوث بن حزقيال الإنجليزي البروتستاني من كبار المستشرقين من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي البريطاني وجمعية المستشرقين الآلمانية، مولده ووفاته بلندن تعلّم في جامعة اكسفورد وعيّن أستاذاً للعربية وله كتب عن الإسلام والمسلمين لم يكن فيها مخلصاً للعلم على الرغم من توسّعه في معرفة المسلمين وأدبهم.(الزركلي، ٢٠٠٧م: ج٢، ٣٣٠)

٥- حمّاد بن سابور الراوية أوّل من لُقّب بالراوية، وكان من أعلم الناس بأيّام العرب وأشعارها، أصله من ديلم ومولده في الكوفه (٩٥هـ) جمع السبع الطوال(المعلّقات) جال في البادية ورحل إلى الشام وتقدّم عند بنى أميه، توفي في بغداد (١٥٥هـ). (المصدر نفسه: ج٢، ٢٧١)

Archive of SID

www.SID.ir

٦. خلف بن حيان المعروف بالأحمر: راوية، عالم بالأدب، شاعر من أهل البصرة وكان يضع الشعر وينسبه إلى العرب، توفي سنة ١٨٠ هـ.

(المصدر نفسه: ج٢، ٣١٠، والحموي، د.ن: ج٤، ١٧٩)

٧. عبدالملک بن قريب بن علي الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، مولده في البصرة سنة١٢٣هـ ووفاته في البصرة سنة٢١٦هـ، كان كثيرالتطواف في البوادي وكان يسمّي شيطان الشعر. (الزركلي، ٢٠٠٧م: ج٤، ١٦٢)

٨- الفرق بين نظريّة طه حسين ومصطفى صادق الرافعي في قضيّة النحل في الشعر الجاهلي هو أنّ طه حسين يعتقد أنّ الكثرة المطلقة من الشعر الجاهلي منحولة ليست بالجاهلية، وأمّا الرافعي فهو يعتقد أنّ الكثرة المطلقة من الشعر الجاهلي جاهلية وإنّما شكّ فيه بقدرما شكّ فيه القدماء خلافاً لطه حسين. و يعتقد أنّ موضوع الكتاب (في الشعرالجاهلي) في ظاهره موجّه للشكّ في الشعر الجاهلي لكنّه في حقيقته دعامة من دعائم الكفر ومعول لهدم الدين.

٩. الرتيمة ج رتائم: خيط يشتدّ في الأصبع لتتذكّر به الحاجة.

تنبيک: تخبرک.

١٠. الجلمود ج جلاميد: الصخر

١١. اللّجّة ج لُجَج: معظم الماء، الجماعة الكثيرة. نئيج: يقال « للريح نئيج » أي: مرّ سريع بصوت. (ابن منظور، ١٤٠٨هـ.)

المصادر والمراجع:

ابن خلدون، عبدالرحمان، المقدّمة، دارالكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣ م.

ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناءالزمان، حققه: محمد محيى الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م.

ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، دارالكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤ هـ.

ابن قتيبة، الدينوري، الشعر والشعراء، دارالحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.ق

Archive of SID

www.SID.ir

ابن كثير، الإمام الحافظ ابي الفدا، اسماعيل، البداية والنهاية، دارإحياء التراث العربي، الطبعة الاولى، ۱۴۰۸ هـ/۱۹۸۸م.

ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الاولى، دارإحياء التراث العربي، بيروت ۱۴۰۸ هـ.

ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست، ترجمة: رضا تجدد، انتشارات كتابخانه ابن سينا، تاريخ نشر: ۱۳۴۳ق.

ابن هشام، عبدالملک، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، مصر ۱۳۵۵هـ

أحمد الغمراوي، محمد، النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، المطبعة السلفية، قاهرة ۱۹۲۹ م.

الأسد، ناصرالدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الطبعة السابعة، دارالمعارف بمصر ۱۹۸۸م.

الإصفهاني، ابوالفرج، الأغاني، الشرح سمير جابر، الطبعة الاولى، دارالفكر بيروت، ۱۴۰۷ هـ.ق.

امرؤالقيس، ديوان امرؤالقيس، الطبعة الثالثة، دارالمعارف مصر، ۱۳۸۹ ق ۱۹۶۹ م.

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، المترجم: عبدالحليم النجار وآخرون، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ۱۹۴۹م.

بلاشير، ريجيس، تاريخ الأدب العربي، ترجمه: إبراهيم الكيلاني، الطبعة الثانية، دارالفكر العربي، دمشق ۱۹۸۱م.

الجاحظ، ابوعثمان عمروبن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، قاهرة، ۱۹۷۵ م.

ـــــــــ، الحيوان، تحقيق، عبدالسلام هارون، دارالجيل للطبع والنشر، بيروت ۱۹۹۶ م.

الجمحي، محمد بن سلّام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ۱۹۷۴م.

الجندي، أنور، محاكمة فكر طه حسين، دارالناصر للطباعة الاسلامية، شبرا، مصر، د.ت.

الحموي، ياقوت، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، طبعة ليدن، د.ت.

الخضر، حسين محمد، نقض كتاب في الشعر الجاهلي، المطبعة السلفية، القاهرة ۱۳۴۵ قمرى.

خليف، يوسف، الشعراء الصعاليک في العصر الجاهلي، طبع دارالمعارف القاهرة، ۱۹۵۹ م.

دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، إشراف: كاظم الموسوي البجنوردي، مركز دائرة المعارف الاسلامية. طهران ۱۳۷۰ ش ۱۹۹۱ م.

Archive of SID

www.SID.ir

الزركلي، خيرالدين، الأعلام، دارالعلم للملايين، الطبعة السابعة عشرة، بيروت، ۲۰۰۷ م.

السيوطي، المزهر في علوم اللغة وانواعها، تحقيق: محمد ابوالفضل ابراهيم، الطبعة الأولى، طبع البابي الحلبي، دون تاريخ.

الشيخو، لويس، شعراء النصرانيه، بيروت ۱۸۹۰ م.

صادق الرافعي، مصطفى، تاريخ آداب العرب، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت ۲۰۰۰ م.

ـــــــــــ، تحت راية القرآن، الطبعة الثامنة، دارالكتاب العربي، بيروت ۱۴۰۳ هـ.

الصفدى، صلاح الدين خليل بن ايبک، الوافي بالوفيات، انتشارات جهان، تهران، ۱۳۸۱ق / ۱۹۶۲ م.

ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، الطبعة السابعة، دارالمعارف مصر، ۱۹۶۹ م.

طه حسين، في الأدب الجاهلي، الطبعة الرابعة، دارالمعارف، مصر، دون تاريخ.

ـــــــــــ، في الشعر الجاهلي، دارالكتب المصرية، قاهرة، ۱۹۲۶ م.

الفاخوري، حنّا، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دارالجيل، بيروت ۱۹۸۵ م.

لطفي جمعة، محمد، الشهاب الراصد، المطبوعة الاولى، مطبعة المقتطف والمقطم بمصر ۱۳۴۴ هـ.

Archive of SID

www.SID.ir